التلقي الفلسفي للغة الإنجليزية "رهان البحث العلمي"

The philosophical reception of the English language "the bet of scientific research"

بلعز نورالدين

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)

nouredine.belaze@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/01/31 تاريخ القبول: 2021/03/07 تاريخ النشر: 2021/08/01

ملخص:

منذ بزوغ التفكير البشري لم يكن الانسان بمقدوره ان يتعلم لغة من اجل افادة العالم و من حوله بل كان تفكيره منصبا على خدمة نفسه لمواجهة الاخطار التي تحدق به فكان همه اشباع حاجته بمعنى ان تفكيره كان محدودا لكنه لم يتفطن الى خطورة هذه العزلة ونتائجها بل عليه ان يتواصل مع الكائنات الاخرى كالحيوانات الاليفة و المفترسة و بدا شيئا فشيئا يخرج من دائرة العزلة الى دائرة التواصل مع الغير لاكتشاف عوالم ثقافات اديان ولم يتسن له ذلك الا بتعلم اللغة فكان ارسطو اول من فكر داخل اللغة من خلال المنطق الذي سماه الاورغانون ثم تطور على مستوى فلسفة اللغة من خلال بنيوية دي سوسير على اساس ان الانسان له خاصية التمفصل المزدوج فكانت الفلسفة لغة العلم في شتى مناحي التفكير و عليه فانه لا مناص لها ان تكون حاضرة في اللسان الانجليزي من خلال التفكير في علاقتها الفلسفية و التاريخية مع العلم و الفلسفة واول نموذج هو العصر الحديث مع فرنسيس بيكون الذي جاء بمنطق جديد سماه الاورغانون الجديد و محور اشكاليتنا يدور في فلك التلقي الفلسفي للغة الانجليزية وتجليات هذا التلقي من خلال اللغة كيف نفكر داخل اللغة الانجليزية؟ وهل يمكن الحديث عن لغة فلسفية عالمة؟

كلمات مفتاحية: اللغة، المنطق، التواصل، فلسفة اللغة، العلم، ارسطو، بيكون، لغة فلسفية، الاورغانون الجديد.

المنارة للاستشارات

ww

Abstract:

In earlier time of thining, people had not study any language in order to give anything to the world, but he tought to avoid all the dangerous around him for example to stay alone, to eat, to travel...but he decided to comunicate with animals, step by step he traveled to know worlds, religions, cultures ... ,and he studied language first ARISTOTE in theorie of logic or ORGANON ,after that he increased the meaning of language to philosophical of language from DE SAUSSURE.

No one can deny that the philosophy had language of science in all major of raison and english language also had relationship with history and philosophy in the main of science you can find a famous english philosopher in modern time like FRANCIS BACON who invented new logic or new organon

At the end, you can ask for his theorie of language philosophy, how to think about english language? what are the relationship between philosophy, language and science?

Keywords: Language, logic, comunication, philosophy of language, science, aristote, bacon, language philosophy, new organon.

المنارة للاستشارات

ww

1. مقدمة:

منذ بزوغ التفكير البشري لم يكن الانسان بمقدوره أن يتعلم لغة من أجل إفادة العالم ومن حوله بل كان تفكيره منصبا على خدمة نفسه لمواجهة الأخطار التي تحدق به فكان همه اشباع حاجته بمعنى أن تفكيره كان محدودا لكنه لم يتفطن إلى خطورة هذه العزلة ونتائجها وإلا يصبح مثل الكائنات الأخرى بل عليه أن يتواصل مع عالم الأشياء والموضوعات كالحيوانات الأليفة والمفترسة وأخذ يتفاعل معها وشيئا فشيئا بدأ يخرج من دائرة العزلة إلى دائرة التواصل مع غيره من البشر فكانت الرموز والرسومات على الكهوف والمغارات والأهرامات تعبيرا ساكنا عما يعيشه، ثم فكر في السفر لاكتشاف عوالم، ثقافات، أديان، ... ولم يتسنى له ذلك إلا بتعلم اللغة " المنطوق " فكان أرسطو أول من فكر داخل اللغة من خلال المنطق الذي سماه " الأورغانون " آلة العلم ثم أخذ هذا المنطق يتغلغل في حقول فلسفية مختلفة مثل فلسفة اللغة من خلال بنيوية دي سويسر على أساس أن الانسان هو الكائن الوحيد الذي يحوز على خاصية التمفصل المزدوج Double articulation وكانت بذلك الفلسفة لغة العلم بامتياز في شتى مناحي التفكير، وعليه فإنه لا مناص لها أن تكون حاضرة في ألسن متعددة ومختلفة تسمح بتطوير وإنماء الفكر البشري، فاللسان الإنجليزي حاضر بقوة من خلال التفكير في علاقته الفلسفية والتاريخية مع العلم والفلسفة والنموذج الذي ظهر في العصر الحديث ما هو إلى تتويج لمسارات اللغة الفلسفية المنطقية مع الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون الذي جاء بمنطق جديد هو المنطق الاستقرائي أو الأورغانون الجديد ومحور إشكاليتنا يدور في فلك التلقي الفلسفي للغة الإنجليزية وتجليات هذا التلقي من خلال اللغة، كيف تفكر فلسفيا داخل اللغة الإنجليزية. وهل يمكن الحديث عن لغة فلسفية عاملة تخدم البحث العلمي في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية؟

لقد كان هاجس الاغريق قديما التفكير في علاقة المتأمل بالكون وما يشوبه من أساطير وآلهة لكن بمجرد أنه كان يطرح على نفسه أسئلة فلسفية خلاقة أخذ يبني في هذه العلاقة خصوصا أنها كانت مرتبطة بمجال المعارف المختلفة وامتزاجها فكان اصطدام الحكماء والأطباء والمحامون وحتى العامة في مكان واحد هو الأغورا Agora وهي الحارة العمومية التي تتم فيها الاجتماعات والنقاشات والمحاورات وحتى الاحتفالات.

يعتبر فضاء الأغورا من الفضاءات التي ألهمت الحضارة اليونانية لأنه المجال الخصب الذي سمح بالبحث عن اللغة أشار إليه أرسطو في أغلب كتبه والذي عبر عنه بعبارة " إدخال الكلام داخل نظام هو اللوغس " Logos، فالاهتمام بتعلم الكلام فتح مجالات أخرى للمعرفة وهي: الخطابة أو الريطوريقا Réthorique، الحجاج، البلاغة، ... واللغة في نظر أرسطو هي الحامل الوحيد للحقيقة، لأنها هوية

المنارة للاستشارات

التفكير، فالاشتغال حول اللفظ والمفهوم هو اشتغال حول العقل إذ أننا إذا قمنا بتشريح العقل إن صح القول علينا أن نمر بمبادئ ثلاثة مهمة هي بمثابة أصل التفكير الإنساني الصحيح وتجعل اللغة منطقية إلى أقصى الحدود وهي:

- مبدأ الهوية.
- مبدأ عدم التناقض.
- مبدأ الثالث المرفوع.

يرى أرسطو أن الثقافة اليونانية إذا أرادت أن تحافظ على تطورها وبقاءها عليها أن تجمع في نسق اللغة، فنحن قد لا نتفق في الممارسات الدينية والطقوس والعادات والتقاليد والأعراف ... لكننا نتفق في الكلام والتفكير الذي هو أصل كل المعارف والحقائق والظواهر من حولنا أو ما يسميه sciences de parole علم القول، فكل ظاهرة تستدعي اشتغالا بلغة ما، ففي مجال العلم انتقل التفكير اليوناني من السؤال الفلسفي الأسطوري ماذا يحدث؟ إلى السؤال العلمي كيف يحدث؟ فلسفة الأسطورة هي الحكايا والسرد بينما لغة العلم هي المنطق مقدمات ونتائج، والبراهين لبناء مجتمع جديد بمنظومة فكرية إبستمولوجية تعتمد أساسا على العقل Raison ← Ration ← Logos.

هذا البناء اللغوي يؤدي حتما إلى المعنى والمعنى يؤدي إلى التواصل والتطور، لأنه عنصر بالغ الأهمية وهو فعل حضاري ضروري للأمة يستهدف الاقناع حيث يقول أفلاطون في هذا الصدد " البلاغة هي كسب عقول الناس بكلمات " فتدفق الكلام هي عملية تتجاوز النقل البسيط والساذج للمعرفة بل الغاية منها روح المعرفة ودلالتها لبلوغ الفهم.

تظهر اسهامات أرسطو في إنماء اللغة المنطقية من خلال العدد الإجمالي لمصنفاته الذي يقترب من الألف وقد جمعت تحت عنوان شامل هو الأورغانون أو آلة العلم وتضم ما يلي: المقولات، العبارة والشرح، التحليلات الأول والثانية، المواضيع الجدلية، نقض الأغاليط أو القياسات الفاسدة. بحيث أنه وضع قوانين تعصم الفكر من الوقوع في الخطأ، هذه القوانين نجدها في القياس: مقدمة كبرى، مقدمة صغرى ونتيجة بحيث أن هذه القوانين هي نفسها قوانين العلم الطبيعي التي أرساها علماء عصر النهضة والعصر الحديث في مجالات علومهم سواء الفيزياء والرياضيات والكيمياء والفلك وغيرها، وعلى نحو آخر وضع نظرية تجمع مجالات الكلام المختلفة باستعمالها المختلفة المقولات وأجزاء الكلام.

المقولات:	أجزاء الكلام:
الجوهر	الاسم.
الكيف	الصفة.
الكم	العدد وتمييزه.
الإضافة	صيغ التفضيل واسما الفاعل والمفعول.
المكان والزمان	ظروف المكان والزمان.

المنارة للاستشارات
ww

الفعل والانفعال	الأفعال المبنية للمعلوم والمجهول.
الوضع	الأفعال اللازمة.
الملك	صيغ الماضي الكامل المبني للمجهول في اليونانية.

والهدف حسب أرسطو من هذا التقسيم هو ملامسة اللغة لثلاثة جوانب:
المنطقي – النحوي – والأنطولوجي، وإذا حاولنا إجراء تقاطع بين اليونانية والعربية والانجليزية نجد اتفاقا في المقولات " الشكل " واختلافا في المضمون والاستعمال والتداول، اللغة العربية أزمنتها ثلاثة: الماضي، الحاضر، الأمر، بينما الإنجليزية الأزمنة تتعدد.

لقد مهد التطور السالف للفكر الفلسفي في اليونان القديمة السبيل أمام منطق أرسطو فقد عنى فلاسفة اليونان الأوائل بالدراسة العلمية للطبيعة ولكننا لا نعرف إلا نتائج هذه البحوث وليست لدينا معلومات عن الطرائق التي استخدمت في الوصول إلى هذه النتائج ولذلك فنحن لا نعرف أي استدلالات وأي براهين طبقها هؤلاء الفلاسفة فقد ذهب الفلاسفة الماديون الأيونيون إلى أن الفكر يجب أن يقوم على معطيات الحس وأن التحقق من نتائجه يكون بواسطة هذه المعطيات، فقد كتب ديمقريطس رسالة خاصة بالمنطق عبر فيها عن أن الاستدلالات يجث أن تقوم على المعطيات اليقينية للخبرة، وعن التحقق من النتائج بواسطة قدرتها على تفسير ظواهر العالم، فلسفة بمنطق وحدها قادرة على تفسير هذه الظواهر.

نماذج وتجليات للتلقي الفلسفي للغة الإنجليزية: لاشك أن التفكير الفلسفي داخل اللغة كان له تمظهرات في تاريخ الفلسفة من خلال المنطق كما أسلفنا سابقا مع أرسطو وخلال القرن السابع عشر لاحقا خاصة في أوروبا وبالتحديد في إنجلترا حيث صارت علوم الطبيعة الموضوع الرئيسي للبحوث ووجدت نفسها في مركز الاهتمامات العلمية، وانطلاقا منها ظهرت الفلسفة المادية وتطورت في إنجلترا وجعلت منه اللغة الإنجليزية لغة الفلاسفة والعلماء على حد سواء، وكان الممثلون الرئيسيون للمادية الإنجليزية هم فرانسيس بيكون، توماس هوبز وجون لوك واسحاق نيوتن وجورج باركلي.

لقد وضع بيكون على عاتقه كما فعل ديكارت مهمة التحويل الجذري للفلسفة والعلم وكان الاثنان يريدان تقويض العلم السكولائي وبناء صرح جديد للمعرفة العلمية بواسطة أدوات المعرفة المتاحة لديهما لكن هذا الصرح حسب بيكون عليه أن يجعل من اللغة الإنجليزية الأداة والمفتاح للنفوذ إلى العالم الخارجي حيث رسم معالم المادية الإنجليزية على نحو بلغ من العمق درجة جعلت أفكار للنزعة التجريبية سيطرة تماما على التطور اللاحق للفلسفة والعلم.

يذهب بيكون إلى القول بأن العلم الحق لا يمكن خلعة بالثقة في قدرات عقلنا الخاصة وحدها ولا بالوقوف على تكديس بسيط للوقائع المعزولة ولكن يجب أن يستند على أساس الدراسة التفصيلية والشاملة لوقائع التجربة، ومعالجتها بتطبيق منهج علمي على نحو دقيق وصارم حيث يقول: " إن العالم لا

المنارة للاستشارات
ww

ينبغي ألا يقلد العنكبوت التي تنسج بيتها بأن تفرز خيوطها الخاصة ولا النملة التي لا تقوم إلى بتكديس المواد، بل ينبغي عليه أن يكون كالنحلة أي ينبغي عليه أن يجمع المواد ويحولها إلى نظرية علمية ".

وكان بيكون ينوي تصنيف مؤلف ضخم عنوانه " الإحياء الكبير للعلوم " ولكنه لم ينجز منه إلا جزئين الجزء الأول: في كرامة العلوم ونموها وهو لمحة إجمالية تلم بكافة مجالات المعرفة العلمية، أما الجزء الثاني فقد خصصه للفلسفة ونشره عام 1620 تحت عنوان الأورغانون الجديد للعلوم حيث كرس فيه عشرون عاما لكتابته كما أعاد النظر فيه اثنتي عشرة مرة حيث قال أن هذا المنطق سيحل محل الأورغانون القديم لأرسطو وسيكون دعامة أساسية للعلم والعلوم ولغاتها حيث أرجع قصور العلم في القرون الوسطى في أوروبا إلى سببين وهما: العلم المدرسي ذو الخطاب الديني " سلطة الكنيسة " وثانيا المنطق الأرسطي هو منطق جاف غير مواكب للتطورات الحاصلة في مجال العلوم وغياب لغة عالمة حيث يقول بيكون: " إن نهر الزمان قد وضع على سطحه أوحال مذهبي أفلاطون وأرسطو ".

لقد قدم بيكون نظرية جديدة في الاستقراء وهي الاستقراء العلمي في معارضته لأرسطو، فالقياس الأرسطي قائم على تمثيل أشياء غامضة وكاذبة ولا يصل إلى نتيجة يقينية.

يرى بيكون أن بناء صرح العالم الجديد يستوجب هدم القديم وبداية الشك في تركة المعرفة العلمية القديمة كلها ومراجعتها مراجعة نقدية وتحرير عقول الناس من الأخطاء وصقل تلك العقول حتى تصبح كالمرآة المجلوة قادرة على أن تعكس العالم كما هو بالفعل في الواقع وهو ما يدعو إليه مؤلفه الأورغانون الجديد الذي كرس عملية تنقية العقل من الشوائب، فالجزء الهدام من الأورغانون الجديد الذي يسبق الجزء الخلاق يضم نظرية الأوهام أو الأصنام Idola من اللفظ اليوناني Eidola بمعنى شبح وهو يقول إن تلك النظرية تشغل في منطقه المكان الذي تشغله نظرية نقض الأغاليط السوفسطائية في منطق أرسطو.

فالشرط الأول الذي لا غنى عنه عند بيكون لإقامة معرفة علمية حقة هو تحرير الذهن الإنساني من الأوهام التي تعوقه في رؤية الطبيعة الحقيقية للأشياء وتعترض سبل معرفة الحقيقة وهو يقول أن هناك أربعة أنواع من الأوهام يجب التخلص منها لإقامة صرح معرفة علمية ومنطقية وهي:

أوهام القبيلة Idola Tribus، أوهام الكهف Idola Specus، أوهام السوق Idola Fori، أوهام المسرح Idola Theatri.

فأوهام القبيلة مرتبطة بالتصورات الباطنة للبشر التي تشترك أفكارهم فيها، أما أوهام الكهف فهي تمثل الخصائص الفردية المميزة لكل فرد، وأوهام السوق هي الأماكن العامة التي يعتاد عليها البشر، وأوهام المسرح هي مرتبطة بالإيمان والخضوع للسلطة.

إذا نظرنا إلى هذه الأوهام نجدها تكبل العقل وتقوضه إلى أخطاء لا تؤدي إلى الحقيقة العلمية، أما إذا ما تفحصنا الأصول اللغوية للأوهام Idola نجدها تختلف مع الكلمة الإنجليزية Idea إلى تعني فكرة، والأفكار هي غير الأوهام مأخوذة من العقل والمنطق.

المنارة للاستشارات
ww

إن مهمة المنطق عند بيكون هي إقامة منهج علمي إلى الطريق القويم نحو الحقيقة وهو يذهب إلى أن المنطق يجب أن يصير منطق الاكتشاف والاختراع في العلم ويجب أن يكون وسيلة تخدم تلك الغاية أي وسيلة تسمح بتحقيق الاكتشافات العلمية، بحيث يرى بيكون أن المنطق الصحيح ينطلق من وقائع مفردة للوصول إلى تعميم أو إلى قضايا كلية عامة على نحو مطرد أي خطوة بعد خطوة باستخلاص الوقائع بمساعدة الملاحظة والتجربة، فبمعرفة الوقائع تسمح لنا بموضع قوانين لها مثل الاستقراء، الاستنتاج، البديهيات وغيرها.

كان فضل بيكون الكبير في إيضاح نظرية الاستقراء متمثلا في أنه أعاد إلى الحياة من جديد نظرية الاستقراء عند ديمقريطس وأبيفور وعمل على تطويرها، كما كان له دور النضال من أجل حرية العلم والعلوم، كما أنه يعد مؤسس المادية الإنجليزية حيث يقول ماركس عن بيكون: في هذا الصدد: " لقد كانت المادية عند مؤسسها بيكون ماتزال تخبئ بشكل ساذج بذور تطور متعدد الحوادث، لقد كانت للمادة تبتسم للإنسان الشامل في توهج جنسي وشعري ينبعث منها.

لقد كان هدف بيكون من وراء إنشاء نظرية الاستقراء مناهضة العلم السكولائي الذي طغى على عقول البشر وبناء علم جديد موجه نحو المهام العلمية وتسليح البشر بمعرفة تسمح لهم بالسيطرة على الطبيعة والتنبؤ بالظواهر وتوجيهها في مسار يخدم مصالح العلم والإنسانية، فالنجاح العلمي هو الذي يشكل هدف الفكر وهدف العلم لأنهما يسيران في طريق واحد لذلك وجب إصلاح جذري للعلوم ولعودة إلى أصولها المنطقية والفلسفية.

أما إسحاق نيوتن (1642 – 1727) فقد كان ممثلا عبقريا عظيما للمادة الانجليزية والنزعة التجريبية في القرن 17م وتبرز مؤلفاته على نحو دقيق واضح الجوانب الإيجابية لهذا التيار في الفكر الفلسفي الإنجليزي وهو من حيث تصوره للعالم وثيق الصلة بفرانسيس بيكون، كما أنه يتبنى من حيث مفاهيمه وجهة نظر السائدة في المادية الإنجليزية القائلة بأن للعلم هدفا عمليا في المقام الأول هو سيطرة الانسان على الطبيعة وتقدم التقنية وتنمية الصناعة، حيث ناهض في البداية العلم السكولائي وقال بأنه قاصر وعاجز عن مواكبة تطورات الواقع والعالم، وقد أدت ملازمته الدائمة للواقع إلى اكتشافات في الميكانيكا والفيزيقا والفلك ويظهر ذلك من خلال مؤلفه الشهير " المبادئ الرياضية لفلسفة الطبيعة " الذي ظهرت طبعته الأولى عام 1680م " الذي وصف بأعظم عمل أنجزه الذهن الإنساني.

كما أبدع نيوبتن في العلوم الرياضية التطبيقية نظريات كثيرة نذكر منها مع الفيلسوف الألماني ليبنتز "نظرية المقادير المتناهية الصغر " سنة 1666م ثم رسالة في تربيع المنحنيات 1704م، بالإضافة إلى هذا نجده قد برع في الميكانيكا الكلاسيكية حية ينظر إلى الهندسة بوصفها جزء من الميكانيكا أو علم الحركة حيث يعتبر أن الكميات أو المقادير الرياضية هي نتاج لحركة مستمرة، فالخطوط تتكون لحركة مستمرة لنقط، كما أن المسطحات ناتجة عن حركة الخطوط والأحجام عن حركة المسطحات والزوايا عن دوران الأضلاع والزمان عن تيار متصل لا انقطاع فيه، وأعظم إرث لنيوتن هو اكتشاف لقانون

المنارة للاستشارات
ww

الجاذبية الشاملة وتعبيره عن قوانين الطبيعة في صيغ معادلات رياضية أي أنه وظف المنطق لخدمة العلم.

لقد كانت تصورات نيوتن عن المعرفة العلمية مشابهة للنزعة التجريبية عند بيكون ومناهضا للنزعة العقلية عند ديكارت، فمهمة العلم هي الوصول إلى معرفة قوى الطبيعة بدءً بظواهر الحركة ثم استنباط الظواهر الأخرى منها حيث دعى إلى الشروع في البحث العلمي بالملاحظة والتجربة وتحليل الظواهر المركبة إلى عناصرها البسيطة، فالمنهج التحليلي يسبق المنهج التركيبي فالإنطلاق من المعطيات المتحصل عليها بالعين المجردة يجب أن تمر عبر التجربة لاستنباط القضايا العامة وتحليل الظواهر المركبة إلى ظواهر بسيطة وارجاع الأفعال إلى عللها والاستدلال عليها والانتقال من معرفة الحركة إلى اكتشاف القوى المحركة لها فهو يتفق مع بيكون في مسألة الاستقراء الانتقال من قضايا واحدة إلى قضايا عامة كلية، ففي نضاله ضد النزعة السكولائية والنزعة الديكارتية كان شعاره دائما: "أيتها الفيزياء خذي حذرك من الميتافيزيقا" ويقصد الميتافيزيقا الفلسفة الأولى عند أرسطو.

إلا أن أبحاث نيوتن العلمية تتسم في ذاتها بطابع مادي تلقائي ولكن اتجاهه الوضعي المعلن في الفيزياء يفتح الباب أمام نزعة التصوف الذي يبرز في تصوره للعالم، فهو يضع منهجه العلمي في معارضة النزعة الديكارتية التي انحى على أنصارها وألقى كل اللوم عليهم خاصة في فروضهم التي يتورطون فيها، ويخطئون فيها، وقد نادى بالفروض التي تكون قاعدتها صحيحة حيث اضطر إلى القول: "أنا لا أستخدم فروضا تعسفية واهية الأساس".

وهكذا فإن نيوتن يضع نفسه في الفيزياء النظرية بعيدا عن كل الفلسفات من حيث المبدأ وإذا كان يرفض في منهجه العلمي استخدام أي فرض عن الفروض فإنه في الحقيقة يخرج خلال أبحاثه عن إطار النزعة التجريبية الضيقة ويسلك طريقا ماديا تلقائيا ولا يرفض صياغة الفروض.

فنيوتن هو الحقيقة الواحدة الماثلة في تاريخ المادية الإنجليزية بأنه دمج بين ما هو منطقي وما هو علمي فصياغة معادلة منطقية للعالم والواقع، وهو كذلك تعبير عن رؤية هادفة للعلم في تقصي الحقائق ومن ثم محاولة إيجاد النظريات التي تؤكدها وفق قضايا منطقية، وهو ما يدعمه لاحقا الفيلسوف والمنطقي الإنجليزي جورج باركلي عند دراسته لتكوين الأفكار انطلاقا من التجربة الخارجية خاصة في كتابه: "مقال نحو نظرية جديدة للرؤية".

جورج باركلي (1685 – 1753) من أبرز المناطقة الإنجليزية في القرن 18م وكان منهجه السيكولوجي هو المنهج نفسه الذي استعمله جون لوك في دراسته لتكوين الأفكار.

لقد رفض باركلي التجربة الخارجية (الباطنة) معترفا في الوقت نفسه بما قدمه لوك جون الأفكار، يتجه باركلي نحو المعرفة المباشرة وغايته كما يقول هي تقديم الوقائع، الوقائع المحضة ولا شيء غير الوقائع ومنهجه هو ملاحظة التماثلات والاختلافات بين الأفكار (المعاني) ولهذا فإن الملاحظة التي أرسى

المنارة للاستشارات
ww

دعائمها كل من بيكون ونيوتن هي التي تنشأ داخل ذهن الفرد ويرى أنه من الواجب ملاحظة المعاني نفسها التي هي الوقائع العينية لحياة الذهن ولكن مع التمييز قدر الإمكان بينها وبين التسميات المقترنة بها.

يطبق باركلي منهجه التجريبي في دراسة مسألة المكان داخل مؤلفه الشهير مقال نحو نظرية جديدة للرؤية 1709م "Essay towards a new theory of vision " وهو يسعى إلى البرهنة على أن الرؤية المباشرة للأجسام في المكان الثلاثي الأبعاد هو أمر يبدو لنا ظاهريا فقط، أما في الحقيقة فإن رؤية المكان والأجسام في هذا المكان هي نتيجة لاستدلال ناجم عن اقتران دائم بين الاحساسات البصرية واحساسات الحركة (حركة العينين) واللمس وباركلي يطور نظرية تكوينية في الادراك الحسي للمكان، وهو يبرهن على أن ادراكنا الحسي للمسافات بين الأشياء وبيننا ولأبعادها إنما يشأ عن إقامة ترابطات ثابتة بين احساسات النظر واللمس والحركة ونحن نظن أننا نرى بأعيننا المسافة بين الأشياء وأبعادها وموضعها في المكان، ولكن معنى المكان في الحقيقة هو معنى مركب لا يتشكل من الاحساسات البصرية وحدها.

يرى باركلي في كتابه الرئيسي "رسالة في مبادئ المعرفة الإنسانية" أن تطبيق معنى المادة هو المنهج الذي نستخدمه في دراسة المكان إذ أن الوقائع العينية ليست إلا سلسلة من الاحساسات وهو يؤكد ذلك بمثال المنضدة التي أكتب عليها موجودة ومعنى ذلك أنني أراها وألمسها، فوجود الأشياء المادية ماثل في قابليتها للإدراك الحسي وحده حيث أنه بنفي صفة المثالية عن منهجه ويقر باللامادية أي أن الانسان لا يمتلك التجريد للأشياء وصفاتها وأنواعها فنحن لا نستطيع تكوين فكرة عن كائن انساني موحد أي طفل، شاب، شيخ في آن واحد إلا بامتلاكه للصفات العرضية الماثلة أمامنا عن هؤلاء، كما أن اللفظ لا يصير عاما لأنه علامة على فكرة عامة فالأفكار العامة لا وجود لها على الاطلاق.

وتذهب نظرية باركلي إلى ان المادة والمكان والزمان هي أفكار عامة مجردة وبما أنها لا وجود لها على الاطلاق في أذهاننا فمن الخطأ أن تتخيل أننا نمتلكها بل يجب ان نبحث عن الوقائع العينية المفردة التي تنتسب إليها في الحقيقة تلك التصورات الوهمية.

ويستبدل باركلي بنظرية الأفكار المجردة العامة نظرية العلامات العامة، فكل علم من العلوم يستهدف تقديم معرفة عامة بعدد من الموضوعات العينية وهو يلجأ من أجل ذلك إلى العلامات العامة التي تدل على تكثر الموضوعات الجزئية.

ونحن في العلم نستخدم الرموز بدلا من الأشياء والمعرفة الإنسانية إنما تنصب على العلاقات العامة وهي نظريات العامة التي تقام بمساعدة هذه العلاقات وليس في العلم إلا العلاقات والأفكار الجزئية التي تدل عليها العلاقات، ويؤكد باركلي في كتابه مقال في نظرية جديدة للرؤية أن الاحساسات البصرية

ذاتية خالصة وأنها ليست إلا علامات على احساسات اللمس المقبلة أو المحتملة وهي علامات لا تعدو أن تشير لنا إلى فائدة أو ضرر تماس محتمل مع الموضوعات التي تقترب منا أو التي توجد على مقربة منا والرؤية معناها التوقع.

المنارة للاستشارات
ww

وتتحول هذه الرمزية البصرية في كتابه رسالة في مبادئ المعرفة الإنسانية (Principle human knowledge) إلى رمزية شاملة للطبيعة فإن ما يجعلنا نعرف اللمس والاحساسات الأخرى هو ذاتي، فكتاب الطبيعة هو كتاب التنبؤ، وتذهب نظرية باركلي إلى أن حدودا مثل المادة والمكان لا تناظرها أية أشياء في الواقع ولكننا نطلق هذه الحدود لتسمية الإشارات اللفظية لعدد من الموضوعات العينية والجزئية.

تصل نظرية باركلي في العلم وفي العلامات إلى قمتها ويرى أننا لا نحيا في العالم المادي بل في عالم الأفكار، نحن نأكل أفكارا أو نشرب أفكارا أو نلبس أفكارا، والمنازل التي نعيش فيها والجبال والأنهار والغابات ليست جميعها إلا أفكارا، إنها لا تنبئنا بشيء عن الواقع، فما هي إلا رموز وعلامات تدلنا على نفع أو ضرر محتملين، فنحن نعيش داخل عالم من الرموز والعلامات التي لا تمتلك إلا دلالة عملية بالنسبة إلى وجودنا ولكنها لا تقول شيئا عن الواقع نفسه، ولقد أعطت نظرية في المعرفة ثمارها الأولى للممارسة العملية خلال القرن 20م خاصة في الفلسفة البراغماتية الأمريكية.

يمكن القول أن التلقي الفلسفي للغة الإنجليزية قد شق طريقه إلى العلم والمعرفة من خلال اسهامات الفلسفة والمنطق وبوثقه من النظريات الفلسفية والعلمية، فنحن مثلا عندما نتحدث عن عالم الجاذبية إسحاق نيوتن نجد أن كان ملما ومطلعا على الفلسفة ومنطقيا عندما صاغ قانون الجاذبية أي ان التلاقي في لغة العلم لا مناص له ونفس الشيء ينطبق على فرانسيس بيكون وجورج باركلي، كما لا ننسى دور اللغة الإنجليزية التي هي لغة العلم بامتياز قد أدلت بدلوها ومكانتها في تاريخ العلم والفلسفة والمنطق على الرغم من أنها كانت أحيانا إشارات ورموز لمعادلات رياضية وفيزيائية إلا أنها حافظت على بقاءها ونموها وتطورها عبر الزمن ولا تزال هي اللغة الباقية على عرش لغات العالم في جميع مناحي الحياة وفرضت وجودها على التكنولوجيا بمختلف تفرعاتها وامتداداتها.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ألكسندر ماكوفلسكي، تاريخ علم المنطق، دار الغارابي، بيروتن لبنان، الطبعة الأولى 1987، ص 60 – 61 – 94 – 95 – 96 – 332 – 335 – 369 – 370.

2- لينين، الأعمال، دار النشر باريس موسكو، المجلد 38، ص 173.

3- لزهر حسناوي، موسوعة العلماء والنابغين، الجزء الثاني، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص 207.

4- فريديريك كويلسون، تاريخ الفلسفة، ترجمة إمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى 2002، 481 – 484.

5- Emile Bréhier, histoire de la philosophie VI XIX siècle, éditions Cérès 1994, presses universitaires de France pour l'édition originale, p 129 – 130.

المنارة للاستشارات

ww